بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بهم فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم
والحكمة وكان يقال الاستيناس بالناس من علامات الافلاس واما التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها
غالبا بالمخالطة وهي الغيبة والرياء وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسرقة الطبع بعض الاخلاق الرديئة والاعمال
الخبيثة من الغير اما الغيبة فان التحرز منها مع مخالطة الناس صعب شديد لا ينجو من ذلك الا الصديقون فان عادة
اكثر الناس التمضمض باعراض من يعرفونه والتنقل بلذة ذلك فهي انسهم الذي يستريحون اليه في الخلوة والمفاوضة فان
خالطتهم ووافقت اثمت وان سكت كنت شريكا فالمستمع احد المغتابين وان انكرت شتموك وتركوا ذلك المغتاب
واغتابوك فازدادوا اثما على اثمهم فاما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من خالط الناس لا يخلو عن مشاهدة
المنكرات فان سكت عصى الله وان انكر تعرض لانواع من الضرر وفي العزلة خلاص عن ذلك وفي الامر بالمعروف اثارة
للخصام وتحريك لكوامن ما في الصدور قال الشاعر وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح
ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه في الاكثر كجدار مائل يريد الانسان ان يقيمه وحده فيوشك ان يقع عليه فاذا
سقط قال يا ليتني تركته مائلا نعم لو وجد الاعوان حتى يحكم ذلك الحائط ويدعمه استقام ولكنك لا تجد اليوم
اعوانا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدع الناس وانج بنفسك واما الرياء فلا شبهة ان من خالط الناس داراهم
ولم تلق كل واحد منهم بوجه توافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس وصرت ذا وجهين
واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار التشوق والمبالغة فيه وليس يخلو ذلك عن كذب اما في الاصل واما في الزيادة و
اظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق
محض قال سري السقطي لو دخل علي اخ فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة المنافقين كان
الفضيل جالسا وحده في المسجد فجاء اليه اخ له فقال ما جاء بك قال المؤانسة قال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد
الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب
الله عبدا الا احب ان لا يشعر به خلقه ودخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال كيف انت يا هشام فغضب وقال
لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين قال لان جميع الناس ما اتفقوا على خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز
من هذا الامر فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين ان خالط ولا نجاة من ذلك الا بالعزلة
واما سرقة الطبع من الغير فالتجربة تشهد بذلك لان من خالط الاشرار اكتسب من شرهم وكلما طالت صحبة الانسان
لاصحاب الكبائر هانت الكبائر عنده وفي المثل فان القرين بالمقارن يقتدي ومنها الخلاص من الفتن والحروب بين
الملوك والامراء على الدنيا روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يوشك ان يكون خير مال المسلم
غنيمة يتبع بها شعاب الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وآله ذكر الفتن فقال اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه
فقلت ما تأمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع
عنك امر العامة وروى ابن مسعود عنه صلى الله عليه وآله انه قال سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا
من فر من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق كالثعلب الروّاغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة
الا بمعاصي الله سبحانه فاذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يد زوجته
وولده فان لم يكن فعلى يد قرابته قالوا وكيف يا رسول الله قال يعيرونه بالفقر وضيق اليد فيكلفونه ما لا يطيقه
حتى يورده ذلك موارد الهلكة وروى ابن مسعود انه صلى الله عليه وآله ذكر الفتنة فقال الهرج فقلت وما الهرج يا رسول الله
قال حين لا يأمن المرء جليسه قلت فبم تأمرني يا رسول الله ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل
دارك قلت ارأيت ان دخل على داري قال ادخل بيتك قلت ان دخل على البيت قال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على
الكوع وقل ربي الله حتى تموت ومنها الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك تارة بالغيبة وتارة بسوء الظن والتهمة

وتارة

٣٢٣

وتارة بالافتراءات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب بما يرونه منك من الاعمال والاقوال
مما لا يبلغ عقولهم كنهه فيدخرون ذلك في نفوسهم عدة لوقت ينتهزون فيه فرصة الشر ومن يعتزلهم يستغن عن التحفظ
لذلك وقال بعض الحكماء لصاحبه اعلمك شعرا هو خير لك من عشرة آلاف درهم وهو اخفض الصوت ان نطقت بليل
والتفت بالنهار قبل المقال ليس للقول رجعة حين يبدو بقبيح يكون او بجمال ومن خالط الناس لا ينفك من حاسد وطاعن
ومن جرب ذلك عرف ومن الكلام المأثور عن علي عليه السلام اخبر تقله وقال الشاعر من حمد الناس ولم يبلهم ثم بلاهم
ذم من يحمد وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الاقرب والابعد وقيل لسعد بن ابي وقاص الا تأتي المدينة قال ما بقي
فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب الينا صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى به
فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هذه نديمي وهو نديم فيه
ثلاث خصال ان يسمع لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد هذا الخبر فقال قد
زهدني سماعه في الندماء وكان بعضهم يلازم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من
قبر ولا امتع من دفتر وقال الحسن مرة اني اريد الحج فجاء اليه ثابت البناني وقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان اصحبك
فقال الحسن دعنا نتعاشر بستر الله اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وقال بعض الصالحين كان
الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك ولا ورق فيه وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة
في حياته وفي النوم بعد وفاته اقلل معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب اني رأيت ما اكره الا ممن عرفت وقال
بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده وعنده كلب رابض قريبا منه فذهبت اطرده فقال دعه فانه
لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه
ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لظهرك
وادعى الى سقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم اذا اردت النجاة
فانكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف ومنها ان في العزلة بقاء الستر على المروة والخلق والفقر وسائر العورات وقد
مدح الله تعالى المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر ولا عار ان زالت عن الحر نعمة
ولكن عارا ان يزول التجمل وليس يخلو الانسان في دينه ودنياه وافعاله عن عورات يتقين ويجب سترها ولا يبقى الستر
مع انكشافها ولا سبيل الى ذلك الا بترك المخالطة ومنها ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس اما انقطاع
طمع الناس عنك ففيه نفع عظيم فان رضاء الخلق غاية لا تدرك لان اهون حقوق الناس وايسرها حضور الجنائز وعيادة
المريض وحضور النفس من الاملاكات وفي ذلك تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها العوائق ويستثقل
فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون لك قائل انك قمت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة
فقد قيل ان من لم يعد مريضا في وقت العيادة يشتهي موته خيفة من تخجيله اياه اذا برأ على تقصيره فاما من يعم الناس
كلهم بالحرمان فانهم يرضون كلهم عنه ومتى خص وقع الاستيحاش والعتاب وتعميمهم بالقيام بجميع الحقوق مما لا يقدر
عليه المتجرد لليله ونهاره فكيف من له مهم يشغله ديني او دنيوي ومن كلام بعضهم كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء
وقال الشاعر عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او
الشراب واما انقطاع طمعك عنهم ففيه ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزخرفها تحرك حرصه وانبعث
بقوة الحرص طمعه واكثر الاطماع يعقبها الخيبة فيتأذى الانسان بذلك واذا اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم
يشتهِ ولم يطمع ولذلك قال تعالى لنبيه عليه وآله الصلاة والسلام ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة
الدنيا وقال صلى الله عليه وآله انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلا ازال مغموما ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست
الفقراء فاسترحت وخرج المزني صاحب الشافعي من باب جامع الفسطاط بمصر وكان فقيرا مقلا فصادف ابن عبد الحكم

Copyright ... University